مقالات
ISSN: 2090 – 0449 Online
ISI International Scientific Indexing, [8140].
AIF Arab Impact Factor for Arabic Scientific Journals, [1.3].

الأم الكبرى للآلهة، الربة سبيل في شمال إفريقيا القديمة ربة للخصب والإخصاب

عبد السلام بحاج
باحث دكتوراه تاريخ القديم
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
جامعة ابن طفيل – المملكة المغربية

مُلَخّص

يتوخى هذا المقال الذي بين أيدينا، التعريف بعبادة الربة الشرقية الفريجية، التي كانت تدعى بأم الآلهة سبيل، والتي دخلت إلى مجال شمال إفريقيا، خلال حقبة الاحتلال الروماني. عن طريق روما عاصمة الإمبراطورية الرومانية، التي استقدمتها من بلاد فريجيا بالأناضول، خلال القرن الثاني ق.م. ويهدف أيضًا، إلى محاولة نفض الغبار، عن العبادات الوثنية في إفريقيا الرومانية بصفة عامة. وعبادة هذه الربة سبيل بصفة خاصة. خصوصًا وأن موضوع العبادات الوثنية، لم ينل حظه من الدراسة والتنقيب، وبالأخص من طرف الباحثين المحليين. وقد اتبعنا لتحقيق هذه الغاية، طرق الجمع والتصنيف، انطلاقا من جمع النقوش اللاتينية، التي لها صلة بالموضوع، والتي تعتبر من المصادر الحية، التي تعبر بشكل عميق، عن صدق إحساس وكلام الشخص صاحب التقدمة. كما أنها تُعَدّ المصدر الرئيس للوثائق المعتمدة في معالجة هذا العمل، وذلك انطلاقا من هم البحث عن الحجة اللازمة للوصول إلى الحقيقة التاريخية كما كانت. ثم جمعنا بعد ذلك، بعض النصوص الأدبية الكلاسيكية، التي عاصرت هذه العبادة، وأخيرًا قمنا بجمع وقراءة بعض النصوص والمقالات المعاصرة، التي تطرقت لهذه العبادة. وهكذا سنعمل على التنقيب في تفاصيل هذه العبادة الشرقية، في إفريقيا الرومانية خلال القرون الميلادية الأربعة الأولى. على مجال ترابي، يمتد من جهة الشرق، من مقاطعة الطرابلسية بليبيا الحالية، مرورًا بإفريقيا البروقنصلية في البلاد التونسية الحالية، فبلاد نوميديا بالجزائر الحالية، وأيضًا بموريطانيا القيصرية، وصولاً إلى موريطانيا الطنجية بالمغرب الحالي. وذلك انطلاقًا من مساءلة هذه النصوص، واستنباط مكنوناتها والكشف عن خباياها، للتمكن من البحث في أصول هذه الربة، وزمن إدخالها إلى روما، ثم استقدام عبادتها إلى شمال إفريقيا، عن طريق رسمي أو عن طريق الجنود الأسيويين العاملين في الجيش الروماني المرابط بالمنطقة، أوعن طريق التجار الشرقيين المقيمين في بعض الحواضر المحلية. وسنرصد أيضا انتشار هذه العبادة في المجال الإفريقي، واقتران الربة سبيل بعدة معبودات أنثوية وذكورية، وعلى رأسها الربة الحامية لقرطاجة كايليستيس. كما سندرس أيضًا بعض الصفات والألقاب، التي تحلت بها الربة خلال هذه الفترة، وكذلك بعض الوظائف، التي امتازت الربة الفريجية بإفريقيا، وعلى رأسها وظيفة الخصوبة الزراعية.

بيانات المقال:

تاريخ استلام البحث: ١٤ أكتوبر ٢٠٢٠
تاريخ قبـول النشـر: ٢٨ نوفمبر ٢٠٢٠

كلمات مفتاحية:

التاريخ الديني؛ المعبودات الوثنية؛ شمال إفريقيا؛ الحقبة الرومانية؛ الربة سبيل

معرِّف الوثيقة الرقمي: DOI 10.21608/KAN.2020.200628

الاستشهاد المرجعي بالمقال:

عبد السلام بحاج. "الأم الكبرى للآلهة، الربة سبيل في شمال إفريقيا القديمة: ربة للخصب والإخصاب".- دورية كان التاريخية.- السنة الثالثة عشرة- العدد الخمسون؛ ديسمبر ٢٠٢٠. ص ١٤ – ٢٠.

Corresponding author: assoubahaj2012@gmail.com
Official website: http://www.kanhistorique.org
Twitter: http://twitter.com/kanhistorique
Facebook Page: https://www.facebook.com/historicalkan
Facebook Group: https://www.facebook.com/groups/kanhistorique
Egyptian Knowledge Bank: https://kan.journals.ekb.eg
Editor In Chief: mr.ashraf.salih@gmail.com
Inquiries: info@kanhistorique.org

Open Access This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (https://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0), which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium, provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

نُشرت هذه الدراسة في دَّورية كَان التَّاريْخية للأغراض العلمية والبحثية فقط، وغير مسموح بإعادة النسخ والنشر والتوزيع لأغراض تجارية أو ربحية.

مُقدِّمَةٌ

يستشعر الباحث المقبل، على خوض غمار التنقيب عن المعبودات الوثنية في مجال شمال إفريقيا خلال الحقبة الرومانية، ندرة وشحًا في المادة المصدرية، سواء الأدبية منها أو الأثرية والإبيغرافية اللاتينية، وهذا ما اعترض سبيلنا، عندما بدأنا عملية البحث عن المعبودة الأنثوية سبيل في هذا المجال إفريقيا. وقد انطلقنا في عملية البحث، انطلاقًا من عدة أسئلة كانت تؤرقنا، منها ما هو معرفي تاريخي، ومنها ما هو أنطولوجي وحودي يرتبط بالذات الباحثة. والتي يمكن تلخيصها فيما يلي: لماذا ارتبطت وظيفة الإخصاب الزراعي أساسًا بمعبودات أنثوية كالربة سبيل؟ فهل لهذا علاقة بمكانة المرأة في المجتمع الأميسي واكتشافها للزراعة؟ أم بوظيفة المرأة الإخصابية من الناحية البيولوجية؟ أم كما ترى الباحثة نصيرة بن الصديق أن كل المعبودات الأنثوية هن ربات للخصب والإخصاب، تسعى دومًا لجلب الخير وطرد الشر؟ إذا ما تم التسليم بوجود ظاهرة التوفيقية، فهل ساهمت الربة سبيل، في التعريف بمعبودات محلية، وفي حفظها من النسيان وإن تحت مسميات أجنبية كالربة كايلستيس مثلاً؟ هل تملك هذه عبادة هذه الربة، التي حملت على المنطقة، في شكل حجر أسود un bétyle noir، تقاطعات وامتدادات مع الطقوس الدينية للعبادات، التي ستعرفها المنطقة لاحقًا؟

إن دراسة المعبودات الوثنية عامة، والمعبودة سبيل خاصة، تعرض لها الباحثون الأجانب منذ أواسط القرن التاسع عشر. وتتجلى أهمية هذه الأبحاث، في كونها حاولت النبش في الأثار المادية، التي خلفها أتباع هذه المعبودة وغيرها من المعبودات. وذلك في شكل أعمال حفريات ودراسات تاريخية، خلفت جمع المصنفات الإبيغرافية والأثرية. ويأتي على رأس هذ ه الأبحاث، التي اهتمت بدراسة عبادة الإلهة سبيل، الأطروحة الجامعية للراحل (Graillot Henri) هنري غرايو، التي أنجزها سنة ١٩١٢، تحت عنوان "عباد الربة سبيل أم الآلهة في روما وفي أرجاء الإمبراطورية الرومانية"، والتي تناولت بالتحليل عبادة سبيل في روما وفي المقاطعات الرومانية.

وبناءً على ما سبق، تعتبر الربة سبيل، الإلهة الفريجية، معبودة شرقية، تتمتع بخاصيات الخصوبة الزراعية، وهي الأم الكبرى لكل الكائنات الحية، وخاصةً النباتات، فهي حامية الزرع والكروم، تقترن عبادتها بالرب أتيس (Attis) الذي تتجدد ولادته كل فصل ربيع. تنتشر عبادتها في الحوض المتوسطي، كمروضة للحيوانات الضارية خصوصًا الأسود، وملكة للطبيعة وربة للخصوبة الزراعية. تم استقدامها من آسيا الصغرى إلى روما، ثم انتقلت عبادتها كمعبود رسمي بعد ذلك، إلى إفريقيا فكيف تم ذلك؟

أولاً: في أصول الربة الفريجية سبيل

ظهرت أم الآلهة في أعالي جبال الكبيل (Kybéles) حوالي سنة ١٥٠٠ ق.م. في البلاد التي ستسمى فيما بعد بفريجيا بآسيا الصغرى. وقد كانت على رأس المعبودات المحلية في مدينة بيسنونت (Pessinonte) المقدسة، وهي عاصمة مقاطعة فريجيا. تقع على أحد أكبر طرق القوافل التجارية، التي تعج بالتجار والزوار القادمين لزيارة هذه المدينة المقدسة[١]، تقام لها الحفلات في فصل الربيع، كتعبير عن انبعاث الطبيعة من جديد، بالطقوس الفرجوية المعهودة لسبيل، بدقات الطبول وأصوات المزامير ورقص حول المعابد، وتقديم قرابين للفرجة[٢].

طلب مجلس الهيئة الكهنوتية le sacré collège des Décemvirs من السلطات الحاكمة بروما سنة ٢٠٥ ق. م. إدخال عبادة أم الآلهة رسميا إلى روما، وذلك بعد الهزائم التي تكبدها الرومانيون أمام جيوش القائد الإفريقي حنبعل[٣].

استقدمت السيدة السمراء من آسيا الصغرى على شكل حجر أسود، في الرابع من أبريل سنة ٢٠٤ ق. م. ودخلت أسوار روما[٤] كمعبود للمجتمع البطريكي والعامة معًا، وذلك بغرض طرد العدو القرطاجي، كما تنبأ بذلك مجلس الهيئة الكهنوتية، فصارت المعبودة المفضلة للرومانيين[٥]، ولكن كيف دخلت عبادة سبيل إلى إفريقيا؟

قبل الحديث عن تسرب هذه العبادة إلى شمال إفريقيا، أورد تعريفا لهذه المعبودة على لسان الإخباري أبوليوس أصيل مدينة مادور البونية، حيث يقول لي لسات الربة: "أنا الطبيعة والأم الكونية، وسيدة كل العناصر، وأصل الأزمان، وملكة الأرواح، وملكة الأموات والأحياء ...أعرف بأسماء متعددة.. يسميني الفريجيون بيسونوتيكا (Pessununtica) أم الآلهة... وأنا الإلهة القديمة للمحاصيل الزراعية.. لا يوجد في الكون إلا شعبين اثنين، ممَنْ ينادونني باسمي الحقيقي: الملكة إيزيس. إنهم الإثيوبيون، الذين توجد أراضيهم في اتجاه شروق الشمس والمصريون[٦]" هذا المقتطف إشارة إلى أن سبيل كانت مماثلة للربة إيزيس عند المصرين والإثيوبيين، كما ترى الباحثة (Stone) أيضًا أن مفهوم أم الآلهة عند الليبيين، هي الإلهة الكبرى الخالدة[٧].

تم إدخال ديانة سبيل إلى إفريقيا كعبادة رسمية، بمبادرة من السلطات البلدية[٨]. كما يذهب إلى ذلك كل من الباحث الفرنسي مارسيل لوغلاي والباحث دي سكوراك H.Pavis d' Escurac، حيث ظهرت هذه العبادة بشكل مزدهر في الحقبة السويرية (١٩٣م – ٢٣٥م). على نقائش مدينة قرطاجة ومدينة تيبازا (tipasa)، وموقع مليف (Milev)، وماسكولة (Mascula) وغيرها[٩]، وقد ظهرت منذ زمن مبكر في مدينة لبدة الكبرى Lepcis Magna بالطرابلسية. حيث تشير نقيشة مؤرخة بسنة ٧٢ للميلاد [١٠]، إلى ذلك ويذهب المؤرخ غزيل Gsell، إلى أن النقائش الخاصة بالمعبودة سبيل مؤرخة، بين فترتي حكم كل من الإمبراطور سبتموس سوروس والإمبراطور قسطنطين[١١]. ويرى الباحث الفرنسي جون بايي (Bayet)، أن هذه العبادة لم تلق حظوظ الاستقبال الكبرى في إفريقيا الرومانية[١٢]. ربما لتشبث الأهالي بمعبوداتهم الليبية/ البونية : تانيت /كايلستيس، رغم ارتباط عبادة أم الآلهة بالسياسة الرومانية في المنطقة[١٣].

ثانيًا: ألقاب الربة سبيل

حملت المعبودة الفريجية في إفريقيا، عدة ألقاب، منها لقب "الأم المقدسة" la sainte mère في موقع ميليف Milev[١٤]. وأيضا دعيت " بالمقدسة جدا [١٥]" la très sainte في مدينة تبازا Tipasa النوميدية، ربما تعبر صيغة المبالغة، على شدة تعلق العابد بالمعبود. كما لقبت بالمقدسة Sancta في نقائش عثر عليها في نفس المدينة أيضًا[١٦]. وفي موقع شرشال البحري (قيصرية عاصمة الملك يوبا الثاني)[١٧]. ولقبت أيضًا بالأوغسطية في موقع مكتار النوميدي[١٨]. وربما قد تكون اقتبست هذا اللقب من الربة الليبية – البونية كايلستيس Caelestis. لأن لقب المقدس هو لقب شرقي، يحمل معاني البركة. كما ظهرت تحت مسمى "الأرض الأم" Terra Mater في نقيشتي [١٩]موقع عنونه/ تبليس Thibilis، فلقب الأم بمفرده، حملته سبيل منذ زمن مبكر جدا. أي قبل دخول عبادتها للعاصمة روما ولإفريقيا الرومانية[٢٠]. كما عرفت أيضًا بـ Aerecura أي "التي تأخذ حذرها من الثروة" وهي خاصية للأرض المغذية[٢١]. وفيه إشارة لوظيفة سبيل الزراعية، ولتوفيرها للخيرات التي يتغذى عليها البشر.

ألقاب سبيل	الموقع الذي عُثر فيه على النقائش	عدد النقائش
المقدسة	ميليف تبازا شرشال	٥
الأرض الأم	تبليس	٢
Aerecura	تبليس	١
الأوغسطية	زاما مايور مكتار	٢
الأم الكبرى للآلهة	زاما مايور مكتار تبازا	٣

ثالثًا: مماثلة الربة الفريجية بمعبودات أخرى

ارتبطت الربة سبيل (Cybèle) بمجموعة من المعبودات الأنثوية والذكورية، من بينها الربة كايلستيس. التي اشتركت معها في جملة من النعوت، كالصولجان (le sceptre) رمز السلطة الملكية. وامتطاء وقيادة الأسود، كما أن الزوج ساتورن/ كايلستيس يماثل الزوج أتيس/ سبيل، كمعبودات زراعية تشرف على أشغال الحقول[٢٢]. حيث يظهر نقش حجري بموقع ميديدي (Mididi)، ربة جالسة على أسد، تشير إلى الربة سبيل أو لسبيل/ كايلستيس[٢٣] أما في مدينة تبسة، فيظهر نقش حجري الرب ساتورنوس مع المعبودة سبيل، ويجلس بينهما أسد، ينظر نحو الربة الجالسة والمتوجة بوشاح[٢٤] (غطاء الرأس). كما تمت مطابقة أم الآلهة بالأرض الأم[٢٥] Mater Terra، وفي عدة مواقع، تبدو سبيل كما لو أنها تأويل (interpretatio) إغريقي روماني للربة البونية عشتارت (Astarté). حيث يتعلق الأمر بربتين للخصوبة تحملان صفة الأسد، كما عثر على صنم من الخزف المشوي لعشتارت Astartéوهي تحمل آلة الطبل، وهي ميزة أساسية لسبيل.[٢٦]

تتطابق سبيل في موقع عنونة (Thibilis)، القريب من موقع هيبون (عنابة) مع الربة (Vénus) فينوس[٢٧]، كما جعلها القديس أوغسطين هي وتلوس معبودًا واحدًا[٢٨]. وتم أيضًا مطابقتها بأثينا الليبية التي ذكرها هيرودوت في التواريخ[٢٩]، وتوجد أثار المطابقة على نقود مدينة أويا (oea). ويتعلق الأمر

إذن بتوفيقيـة (Syncrétisme) ليبيـة رومانيـة تـتلاءم مـع السياسـة الأوغسـطية، وتـدخل في إطـار حركـة رومنـة المدينـة ومعبوداتهـا، حيـث يـرى الباحـث لـوغلاي (Leglay)، أن مماثلـة الربة تلوس والأرض الأم بسبيل أمر مرجح.[٣٠]

أما فيما يخص المعبودات الذكورية، فقد تم اشراكها مع يانوس الأب (Janus Pater)، حيث قدم لهما مذبح في مدينة مكتار[٣١]، كما تم إشراكها مع ساتورنوس كما سبقت الإشارة إلى ذلك. وقد لعب الرب لبير باطر (Liber Pater) في صيغته الإفريقية، حيث تمت مماثلته ببعل هامون أي بالإله المحلي، الذي يحمل في يده، على النصب البونية عنقود عنب – دورًا كبيرًا في تطوير عبادة الأم الكبرى.[٣٢] وبما أنه تمت مماثلة الربة سبيل بالمعبودة عشتارت، التي كانت قرينة للرب أيولون (Apollon) في كل من مدينتي كرطة وتاموغادي، حيث تمت مماثلة الشاب أتيس بأبولون في نقيشة تاموغادي (Timga) وبالإله إسكولابيوس أيضًا، وهؤلاء هم ورثة الرب إشمون (Eshmoun) قرين [٣٣]عشتارت.

رابعًا: انتشار عبادة سبيل وتوزيعها الجغرافي

توجد عبادة أم الآلهة تقريبًا في كل المرافئ التجارية للساحل الإفريقي، بدءًا بمدينة حضروميت (Hadrumète) البونية، كمركز رئيس لتصدير قمح وزيت البزاق إلى موانئ الضفة الشمالية، فقرطاجة المستوطنة اليولياية والتي صارت تحت حكم أغسطس، المدينة أكثر إشعاعًا في المنطقة، و (Hippo Diarrytus) (بنزرت) وقيصرية (شرشال) التي أقام فيها الرومانيون ميناءً عسكريًا Portus Magnus (وهران)[٣٤].

توغلت عبادة سبيل في الداخل حتى وصلت إلى الهضاب العليا، عثر في الحوض الخصب للمجردة على بقايا عبادة أتيس قرب موقع ممبراسا (Membressa)، وهو يترأس بلا شك أشغال الزراعة، في ضيعة أحد الأتباع[٣٥]. كما عُثر على معابد لأم الآلهة في موقع كل دوكة (Thugga)، وموقع مادور Madaure، حيث يوجد به معبد لأم الآلهة، وهو من إنجاز مالك ضيعة، وهو يشغل منصب بروقراطور إمبراطوري[٣٦]. كما عثر على نقود، تحمل رأس الربة متوج بصولجان، في مدينة لبدة الكبرى lepcis Magna، بمقاطعة الطرابلسية شرقا. كما توجد بها أيضا نقائش لاتينية مهداة لسبيل في عدة مناطق أخرى من إفريقيا الرومانية، وعبادتها متطورة في هذه المقاطعة[٣٧]. وقد وصلت عبادة الربة في جهة الغرب من شمال إفريقيا، إلى موقع بناصا الموجود على الضفة اليمنى لوادي سبو بالمملكة المغربية الحالية[٣٨]. وهي نقيشة مكرسة، من أجل سلامة الإمبراطور الروماني تتوس أورليوس هادريانوس.

دخلت عبادة الأم الكبرى إلى مدينة كرطة المدينة البونية بامتياز، في نفس الوقت الذي تم فيه إدخال عبادة الثالوث الكابتولي للمدينة (جوبتر وجنون ومنرفا)، كما تم إحداث معبد رائع لسبيل في موقع اسطيف بالقيصرية، سنة ٢٨٨ للميلاد -مما يدل على كثرة أتباعها بالموقع – وبه أيقونة من الفضة للربة[٣٩]. تركت عبادة سبيل آثارًا في منطقة زاما الكبرى، وفي موقع مديدي (Mididi)، وعرفت عبادة سبيل انتشارًا كبيرًا في موقع لامبيز Lambèse الذي كان مستقرًا للجيوش الرومانية التي تحرس خط الليمس من هجمات قبائل الرحل الثائرة، وذلك بسبب استقدام أغلبية جنود الفليق الثالث الأغسطي، المستقر في المنطقة، من مناطق آسيا الصغرى والأقاليم الدانوبية، وهكذا انتشرت عبادة الأم الكبرى في المدن التي شيدها الفليق عند قدم جبال الأوراس، فبنوا لها معابد في كل من موقع ماسكولة (خنشلة بالجزائر الحالية) (Mascula)، وبموقع تاموغادي (Tamugadi) (معبد لأم الآلهة)[٤٠].

عرفت عبادة الربة سبيل ازدهار بإفريقيا الرومانية في العهد السويري، أي الفترة التي اقترنت فيها أم الآلهة بالرب الإفريقي إسكولابيوس/ إشمون في مدينة قرطاجة. حيث تعتبر الباحثة سمادجا أن المقاطعات الإفريقية، هي التي عثر فيها على أكبر عدد من النقائش، في غرب الإمبراطورية للربة سبيل[٤١]. ورغم أن الباحث الفرنسي جون بايي Bayet، يرى أن عبادتها غير مرحب بها عند الأفارقة[٤٢]، فإنه في عهد الإمبراطور فاسبيان Vespasien، أقام شخص محلي الأصل، يدعى أنوبعل إدبعل أسمونيس Iddibal Annobal Asmunis معبدًا للربة الفريجية، في موقع لبدة الكبرى lepcis Magna. واسم هذا الشخص مقدم الإهداء، مشتق من اسم الرب بعل هامون البوني/ الليبي. وقد بلغت مصاريف هذا البناء، حوالي ٢٠٠ ألف سسترس. ويتعلق الأمر إذن بمبادرة محلية، تحت إشراف السلطة الرومانية، حيث يتزامن هذا الإنجاز، مع عملية إعادة تجديد عمارة المدينة، وذلك منذ النصف الأول من القرن الميلادي الأول، وتبرز منه رغبة الطبقة المهيمنة، في إظهار هيمنتها الاجتماعية، بشراكة مع السلطات الرومانية[٤٣] وبمباركة منها.

تمتد عبادة سبيل في إفريقيا على مستوى المجال ومستوى الزمن أيضًا، حيث بدأت في الانتشار مع القرن الميلادي الأول واستمرت إلى القرن الميلادي الرابع، كما تشير إلى ذلك نقيشة لبدة الكبرى المؤرخة بالقرن الأول للميلاد[٤٤]. وقد تولت هذه الربة بالمنطقة عدة وظائف، من بينها وظيفة الخصب الزراعي، هذه الوظائف التي كانت الشغل الشاغل للمزارعين والفلاحين بالمنطقة. فماهي تجليات هذه الوظائف؟

خامسًا: من وظائف الربة سبيل

تمتلك الربة الفريجية وظيفة الخصوبة الزراعية، فهي سيدة الحصاد، التي تحمي الخصوبة، كما تحمي الكروم أيضًا[٤٥]. ولا غرابة أن يتم إدخال عبادتها إلى إفريقيا، عمومًا والبروقنصلية بالخصوص، حيث جاء المزارعون الرومانيون المستوطنون يبحثون عن الثروة في استغلال ضيعات قروية، فالنسبة لهؤلاء شكلت الأم الكبرى للآلهة معبودًا وطنيًا، وواحدة من القوى الحامية للإمبراطورية وعنصرًا من عناصر الحضارية اللاتينية[٤٦] كما شكلت بالنسبة للأهالي معبودًا للخصوبة الزراعية، ففي عدة مواقع تظهر سبيل كتأويل إفريقي روماني للربة البونية (Astarté) عشتارت[٤٧] أو للأم الأرض[٤٨]، حيث يتعلق الأمر هنا بمعبودتين للخصوبة الزراعية[٤٩].

عُثر في معبد قرطاجة على نقيشة[٥٠]، تمثل تقديم قربان الثور والكبش معا. حيث زين الجزء العلوي للمعبد برأس كبش ورأس ثور، إهداء لأم الآلهة من أجل سلامة الإمبراطور ذو الأصول الإفريقية سبتموس سوروس (Septime Sévère)، وأجري ذلك أثناء حفل تعويم سبيل بحضور شخصيات سامية مدنية ودينية[٥١]. تشير نقيشة موقع مكتار[٥٢]، أيضًا إلى قربان الثور المقدم للربة الفريجية، وفي هذا إشارة إلى طلب الخصوبة الزراعية. وفي موقع تبليس القرية الفلاحية الكبرى[٥٣]، عثر على نقيشتين تحملان قرابين الكبش والثور معًا.[٥٤]

خَاتِمَةٌ

إذا كانت عبادة أم الآلهة سبيل، لم تلق الإقبال الشعبي المرجو في إفريقيا كما يرى الباحث جون بايي (Bayet)، فإلى ماذا يعزى حضورها في موقع مليف، الذي كان تحت حماية الربتين كايلستيس ونوتركس، وبسيغوس (Sigus) المدينة الليبية القديمة، وتيبازا (Tipasa) النوميدية، التي حافظت على معابدها البونية؟ وبمدينة سيكافنريا(Sicca Veneria) المدينة المقدسة من طرف القبائل الأهلية، وأيضًا بموقع بناصا الموري؟ وفي دوكة حيث توجد أغلبية السكان من الأهالي[٥٥]. يرجع هذا، ربما لكونها عبادة رسمية، تم إدخالها بقرارات إدارية رومانية رسمية، أو لأن معابدها كانت" أكثر تنظيما من الناحية الدينية" حيث يسمى بـ "المكان المقدس" معبد للربة سبيل في موقع سطيف (Setif) بموريطانيا القيصرية[٥٦].

ويحتمل أيضًا انخراط أتباعها، في جمعيات دينية يترأسها كبير الكهنة (Antistes)، الذي يفوق الكاهن مرتبة، ويعتبر سيدًا لكل الأتباع المنضوين تحت لواء الجمعية.[٥٧] التي كانت تمارس طقوسا تعبدية وفرجوية، نجد لها مثيلا في جدبات طائفة "عيساوة" في مدينة مكناس بالمغرب، والتي قد تكون استمرارية لطقوس وثنية، في ظل عبادة توحيدية ألا وهي الدين الإسلامي. كما أن المقاطعة الإفريقية، تُعَدّ المقاطعة الرومانية التي أعطت أكبر عدد من النقائش للربة سبيل، ومعظمها مكرس من أجل سلامة الأباطرة، مما يؤكد الطابع الرسمي للمعبودة الفريجية[٥٨]. وقد تأقلمت هذه الربة مع التقاليد المحلية، واكتسبت بعضًا من صفات الربة الإفريقية كايلستيس، مما ساعدها على الانتشار في إفريقيا البروقنصلية، وفي جميع المقاطعات الأخرى، بإفريقيا الرومانية خصوصًا خلال القرن الميلادي الثالث وبداية القرن الميلادي الرابع[٥٩].

وأخيرًا؛ فإننا نعتبر البحث في التاريخ الديني لشمال إفريقيا، في الحقبة القديمة، التي تسبق المسيحية والإسلام. ضرورة ملحة ومغامرة كبرى، تفرض على المؤرخين خوضها، للإسهام في فهم الماضي التاريخي للمنطقة، الذي نعتقد أنه ما يزال ممتدًا في حاضرنا.

الملاحق

صورة رقم (١)

تظهر الربة سبيل وهي تركب عربة تجرها الأسود، وعشيقها الرب أتيس متكأ على شجرة

PREVOST Jacques Henri, Petit manuel de l'humanité, les antiques religions à mystères, cahier 35 .p. 3.

صورة رقم (٢)

الربة سبيل والطبل المميز لها

PREVOST, Petit manuel...op.cit.p.4.

الاحالات المرجعية:

(1) Graillot Henri, Le Culte de Cybèle, mère des dieux à Rome et dans l'empire Romain, Paris, 1912, pp. 16- 17
(2) Ibid, p. 19.
(3) Ibid, p. 529; Cumont Franz, Les Religions Orientales dans le paganisme Romain, Ernest Leroux, éditeur, Paris, 1905, p.57-58.
(4) Bayet Jean, Histoire politique et psychologique de la religion romaine, Payot, Paris, 1957, p. 124 .
(5) Rolle Pierre Nicolas, Recherches sur le culte de Bacchus, symbole de la force productive de la nature, tome I, Paris.1824,p.272.
(6) Stone Merlin, Quand le Dieu était femme, à la découverte de la grande déesse, source de pouvoir des femmes, édition l'étincelle, Paris, 1979, p. 61 .
(7) Apulée, Métamorphoses, XI,5 .
(8) Le Glay Marcel, Le paganisme en Numidie et dans les Maurétanie sous l'empire romain ; état de recherches entre 1954 et 1990, In Antiquités africaines, n° 42, 2006, p .83 ; Cadotte Alain,La Romanisation des dieux, l' interprétatio romana en Afrique du Nord sous le Haut Empire, Brill,leiden Boston .2007, p. 240
(9) CIL, VIII, 4846 ; ILAlg, I, 1983 ; Cadotte ,La Romanisation ...op.cit,p. 107 .
(10) CIL, VIII, 22671 .
(11) Gsell Stéphane, Autel romain de Zana (Algérie), In Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-lettres,75°année,n°3,1931,p.255.
(12) Bayet, Histoire politique ...op.cit, p.205.
(13) Graillot, Le Culte de Cybèle ...op.cit, p. 528 ; Smadja Elisabeth, Divination et idéologie impériale en Afrique romaine, In Pouvoir, divination et prédestination dans le monde antique, Besançon, Institut des Sciences et Techniques de l'Antiquité, 1999, p.310 ; SANDERS .G, Les Galles et le Gallat, in Homages à Maarten J . Vermasern, Recueil d'études offerts par les auteurs de la Série, Etudes préliminaires aux religions orientales dans l'Empire Romain à Maarten J. Vermasern le 7 Avril 1978, coordonné par, Margreet de Boer, Edridge .T.A,Leidn E.J.Brill, 1978, p.1091.
(14) Graillot , Le Culte de Cybèle...op.cit, p.531.
(15) Ibid, p. 531.
(16) Cadotte, La Romanisation ...op.cit, p.243.
(17) CIL, VIII, 9401 .
(18) Cadotte, La Romanisation des dieux...op.cit, p.243 ; CIL, VIII,19981 ;CIL, VIII, 23400 .
(19) ILAlg,II,4647; CIL, VIII, 5524; Saint Augustin, La cité de Dieu .VII, 28 ;voir aussi VII, 16 (a propos de Cérès)
(20) Graillot , Le Culte de Cybèle ...op.cit, p.3 ; Cumont , les Religions Orientales ...op.cit, p.58.
(21) Cadotte, La Romanisation...op.cit, p. 244.
(22) Graillot, Le Culte de Cybèle...op.cit, p.529 ; Visconti Mongez Ennio Quirino, Iconographie ancienne ou recueil des portrais authentiques des Empereurs, Rois, et Hommes, Illustrés de l'antiquité, Iconographie greque, volume 2, Bibliotheca Regia Monacensis, Paris, 1817, p.103.
(23) Cadotte, La Romanisation...op.cit, p.239.
(24) Graillot, Le Culte de Cybèle ...op.cit, p.532.
(25) Ibid, p. 531 .
(26) Cadotte, La Romanisation...op.cit, p.239.
(27) Cadotte, La Romanisation...op.cit, p. 240.
(28) Saint Augustin, Cité de dieu, VII, 28.
(29) Hérodote, Histoire d'Hérodote,IV,CLXXX, traduit par LARCHER, tome deuxième, Paris, Charpentier, 1850 .
(30) Cadotte, La Romanisation ... op.cit, p.242.
(31) Le Glay Marcel, Les Syncrétismes dans l'Afrique ancienne, in Françoise Dunant et Pierre Léveque, Les Synccrétismes dans les Religions de l'Antiquité , colloque de Besançon (22-23 Octobre 1973) Leiden E.J.Brill.1975, p.143.
(32) Graillot, Le Culte de Cybèle...op.cit, p.533 ; CIL, VIII, 16440.
(33) Cadotte, La Romanisation...op.cit, p.239.
(34) Graillot , Le Culte de Cybéle...op.cit,p.522.
(35) Ibid , p.523.
(36) Ibid, p. 524
(37) Cadotte, La Romanisation ...op.cit, p. 240.
(38) AE, 1957,63 ; IAM, 93. Pro salute Imp(eratoris) Caes(aris) Titi Aeli Hadrian[i Antonini] Aug(usti) Pii,p(atris) p(atriae), templum matri deum [. . .] ex decreto ordinis Tib(erii) Claudii lu lianus et Saturninus, du(u)muiri, \fratres, a solo faciendum curauerunt.
(39) Graillot, Le culte de Cybèle ...op.cit, p. 525.
(40) Ibid, p.527 .
(41) Cadotte, La Romanisation ...op.cit, p.240 ; Smadja Elisabeth et Geny Evelyne, Pouvoir, Divination ...op.cit,p.310.
(42) Bayet, Histoire ...op.cit , p. 205 .
(43) Cadotte, La Romanisation...op.cit , p.241.
(44) AE,1950,151 .
(45) Graillot , Le Culte de Cybèle ...op.cit, p.522 ; Cumont, Les Religions Orientales ...op.cit, p.62.
(46) Graillot , Le Culte de Cybèle ...op.cit, p.522 ; Cumont, Les Religions Orientales ...op.cit, p.62.
(47) Graillot , Le Culte de Cybèle ...op.cit, p.522 ; Cumont, Les Religions Orientales ...op.cit, p.62.
(48) Le Glay Marcel, Les Syncrétismes dans l'Afrique ancienne ...op.cit, p.143.
(49) Cadotte, La Romanisation des dieux...op.cit , p. 236 .
(50) CIL,VIII,24521.
(51) Gsell,Autel romain...op.cit,p.255.
(52) CIL,VIII,23400 ;CIL,VIII,23401.
(53) Gsell,Autel romain...op.cit,p.265.
(54) CIL,VIII,5524.
(55) Graillot , Le Culte de Cybèle...op.cit, p.530.
(56) Ibid , p. 530.
(57) Ibid, p. 531 ; Gsell,Autel...op.cit,p.258.
(58) Smadja E lisabeth, Divination et idéologie impériale...op.cit , p.310.
(59) H.Pavis d'Escurac, La Magna Mater en Afrique, Bulletin Archéologique Algérienne,Volume 6,1975,p.223.